المطلب الثاني

من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها عظم الرسالة الإسلامية التي أرسله الله بها

لا خلاف بين العلماء أن الله خَصَّ الرسالة الإسلامية بِخَصَائِصَ لم تَحْظَ بِها غَيْرُها: كالعمومية، والشمولية، والخلود، والبقاء، والحفظ، والإظهار، والحنيفية، والسهولة، والسماحة، واليسر، وغيرها من الصفات التي تَعْنِي تفضيل الرسالة، فإذا انضم إليها تفضيل الرسول الأكرم فُهِم منه أن: تفضيل الرسالة لتتناسب مع شرف الرسول؛ لأن الرسالة تكون تابعة للرسول، وشرف الرسالة دال على شرف الرسول، ومعبر عنه؛ ولهذا لما كان القرآن كلام رب العالمين أفضل شيء؛ لتعلقه بالذات العلية: جُعل معجزة لأفضل رسول عند الله تعالى، ودستورًا للرسالة المحمدية الخاتمة أعظم الرسالات، ودليل على صدق النبي الكريم أفضل المرسلين فهذه الخصائص تسمي: **الخصائص الرِّسَالِيّة** وهي تعني: الأمور التي اختص الله بها رسوله محمدًا ﷺ في رسالته، وأفرده بها عن غيره من الأنبياء، وهي أشياء كثيرة **لا حصر لها ومنها علي سبيل المثال ما يلي:**

١) من خصائصه ﷺ الإعجازية أن: الله يظهر دين نبيه ﷺ على كل دين يدين به الناس في أي وقت.

من الخصائص المهمة لرسالة النبي الأكرم ﷺ أن: الله يظهر دينه على كل دين خالفه، فقال سبحانه:﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [١]، وقد بيَّن ﷺ أنه: **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِهِ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إلى يَوْمِ أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**[٢]، وهذا يعني ظهور الدين في البقاء والخلود إلى يوم القيامة، بخلاف الأديان السابقة، فلم يكتب لها البقاء، ولا الظهور، حيث كانت خاصة بزمن معين، ومكان معين، ولم تَبْق لفترة طويلة، كما في اليهودية، والنصرانية وغيرهما من الأديان، التي نُسِخَت بالإسلام فضلاً عن تحريفها، وتبديلها مِن قَبْل، وحكم الله عليهم بالكفر، والشرك، والضلال، كما في قوله تعالى:

---

[١] سورة التوبة، آية: (٣٣).

[٢] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى، رقم: (٢٤٧).

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾[3].

وهذا كله من وجوه الإعجاز والتفضيل لها على الرسالات السابقة؛ ومن أجل هذا وجب على العالمين أجمعين الإيمان بها، والسير عليها، وقد ذكر الإمام مسلم في: «باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ على جميع الناس، ونسخ الملل بملته»: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ – يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ – ثُمَّ يَمُوتُ وَلَم يُؤْمِن بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِه، إِلَّا كَانَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ**»[4].

وقد سبق قوله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَو أَصْبَحَ فِيْكُم مُوْسَى عليه السلام، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُم، إِنَّكُم حَظِّي مِن الأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُم مِنَ النَّبِيِّينَ**»[5].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيءٍ فَإِنَّهُم لَنْ يَهْدُوكُم وَقَد ضَلُّوا، وَإِنَّكُم إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ وَإِمَّا أَنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وإِنَّهُ وَاللهِ لَو كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُم مَا حَلّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[6].

٢) من خصائصه ﷺ الإعجازية عموم رسالته لكل العالمين.

لا خلاف بين العلماء: أن الله تعالى قد خص الرسالة الإسلامية، وفضَّلها على رسالات الأنبياء السابقين بأن جعلها عامة للعالمين جميعًا، وقد دلَّ على ذلك نصوص الشرع من القرآن، والسنة.

---

[1] سورة المائدة آية: (٧٣).

[2] سورة المائدة آية: (٧٢).

[3] سورة المائدة آية: (٦٤).

[4] سبق تخريجه: (ص ٢٣).

[5] سبق تخريجه: (ص ١٠٦).

[6] سبق تخريجه: (ص ٩٠).

أما من القرآن فآيات كثيرة منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [٢].

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾[٣]، فوجه الدلالة من الآيات ظاهر في عمومية الرسالة للناس جميعًا.

وأما السنة فأحاديث كثيرة تؤكد ذلك المعنى من أهمها ما يلي:

١- قوله ﷺ : « ... **وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِه خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[٤]، فمعناه في الكتاب العزيز، وهو قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٦]، فكان النبي ممن كان قبلنا لا يكلف من أداء الرسالة إلا ما يدعو به قومه إلى الله، وأما النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [٧].

وقال تعالى: ﴿لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [٩].

---

[١] سورة الأعراف آية: (١٥٨).

[٢] سورة آل عمران آية: (٢٠).

[٣] سورة الفرقان آية: (١).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب التيمم، رقم: (٤٢٧ - ٣٢٨) (ج١ ص١٢٨)، و«فتح الباري» (ج١ ص٤٣٦ - ٤٤٠).

[٥] سورة إبراهيم آية: (٤).

[٦] سورة فاطر آية: (٢٤).

[٧] سورة الأعراف آية: (١٥٨).

[٨] سورة الأنعام، آية: (١٩).

[٩] سورة هود آية: (١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1] .

٢- وقال ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»[2].

٣- وقال ﷺ: «**لَا يَسْمَعُ بِي رَجُلٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا كَانَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ**»[3].

وكونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة؛ ولهذا فإن مذهب أهل السنة والجماعة أنه ﷺ المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى، بالحق، والهدى، وبالنور والضياء.

قال ابن أبي العز الحنفي: أما كونه مبعوثاً إلى عامة الجن، فقال تعالى حكاية عن قول الجن: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [4]، وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضًا[5].

قال مقاتل[6]: لم يَبْعَث الله رسولاً إلى الإنس والجن قبله، وهذا قول بعيد.

---

[1] سورة آل عمران آية: (٢٠).

[2] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[3] سبق تخريجه (ص: ٢٣).

[4] سورة الأحقاف آية: (٣١).

[5] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص١٦٦).

[6] هو: مقاتل بن حيان، أبو بسطام النبطي البلخي الخراساني الخراز، أحد الأعلام . وثقه يحيى بن معين وأبو داود وغيرهما، روى عن الضحاك ومجاهد وعكرمة والشعبي وغيرهم، هرب أيام أبي مسلم إلى كابل، دعا خلقًا إلى الإسلام فأسلموا، مات بكابل قبل (١٥٠ هـ)، يراجع: «ميزان الاعتدال» (ج٤ ص١٧١)؛ و«الجرح والتعديل» (ج٤ ص٣٥٣)، و«تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٢٧٧ - ٢٧٩).

فقد قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [1]، الآية، والرسل من الأنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد[2]؛ وغيره من السلف والخلف[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الرسل من بني آدم، ومن الجن نُذُر». وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [4]، الآية: تدل على أن موسى مرسل إليهم أيضًا[5].

وروي عن الضحاك بن مزاحم[6]: أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتج بهذه الآية الكريمة[7].

لكن الاستدلال بها لا يفيد لأنها محتملة وليست بصريحة في المراد.

وأما كونه مبعوثاً إلى كافة الورى فقد قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1]. وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾[3]، أي: وأنذر من بلغه.

---

[1] سورة الأنعام آية: (١٣٠).

[2] هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي . شيخ المفسرين . أحذ التفسير عن ابن عباس .كان ثقة فقيها ورعا عابدًا متقنا . اتهم بالتدليس في الراوية عن عَلِيٍّ وغيره . وأجمعت الأمة على إمامته . مؤلَّفُهُ «تفسير مجاهد» طبع مؤخرا بنفقة حكومة قطر. انظر ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٤٤)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٦ ص١٦١).

[3] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص١٦٦).

[4] سورة الأحقاف آية: (٣٠).

[5] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص١٦٦).

[6] هو: الضحاك بن مزاحم الهلالى، أبو القاسم، ويقال أبو محمد، الخراسانى، (أخو محمد بن مزاحم، ومسلم بن مزاحم) توفي بعد (١٠٠ هـ)، روى له : (أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه)، رتبته عند ابن حجر : صدوق كثير الإرسال، ورتبته عند الذهبي : «وثقه أحمد وابن معين»، يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٣٥٢)، و«وفيات الأعيان» (ج٥ ص٢٥٥).

[7] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٢٣٨)، و«مختصر ابن كثير» (ج١ ص٤٤٢).

وأما قول بعض النصارى إنه رسول إلى العرب خاصة: فظاهر البطلان، فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتمًا، فقد أرسل ﷺ رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر والنجاشي، والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام.

ومن هذه الروايات يظهر المراد، وهو: أن الله فضل النبي ﷺ على الأنبياء جميعًا بجعل رسالته عامة للخلق أجمعين، وبهذا صرح النبي ﷺ في قوله الدال على التفضيل، وهو: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ** بِكَذَا ... » فهذه من خصائصه التي يراد بها تفضيل الرسالة الخاتمة في أنها عامة للخلق جميعًا، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[٤].

وعن أبي سعيد ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُطْعِمْتُ الْمَغْنَمَ، وَلَمْ يَطْعَمْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِي دَعْوَةً فَتَعَجَّلَها، وَإِنِّي أَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ بَالِغَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا**»[٥]، وقوله: «**وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**» في رواية مسلم، «**وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ**»: فقيل المراد بالأحمر: العجم، وبالأسود: العرب، وقيل الأحمر: الإنس، والأسود: الجن، وعلى الأول التنصيص على الإنس من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى؛ لأنه مرسل إلى الجميع، وأصرح الروايات في ذلك أشملها رواية أبي هريرة عند

---

[١] سورة سبأ آية: (٢٨).

[٢] سورة الأعراف، آية: (١٥٨).

[٣] سورة الأنعام آية: (١٩).

[٤] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[٥] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

مسلم: «**وَأرْسِلْتُ إلَى الخَلْقِ كَافَّةً**»، مع أول حديث أبي هريرة هذا: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأنْبِيَاءِ بِستٍّ**: ...» فَذَكَر الخمس المذكورة في حديث جابر؛ إلا الشفاعة، وزاد الخصلتين، وهما: «**وأعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبيون**»، فتحصل منه، ومن حديث جابر: سبع خصال ولمسلم أيضًا من حديث حذيفة: «**فُضِّلْنَا عَلى النَّاسِ بِثَلَاثٍ خِصَالٍ: جُعِلَت صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ**»، وذكر خصلة أخرى وهي: «**وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش**»، يشير إلى ما حَطَّهُ الله عَن أمَّتِهِ مِنَ الإصْرِ، وتحميل ما لا طاقة لهم به، ورفع الخطأ والنسيان، فصارت الخصال تسعًا، ولأحمد من حديث علي: «**أعطيت أربعًا لم يعطهن أحد من أنبياء الله: أعطيت مفاتيح الأرض ،وسميت أحمد** ...»[1]، فكل ذلك دال على المعنى المراد.

٣) من خصائصه ﷺ الإعجازية أن: معجزة كل نبي انقضت معه، ومعجزاته ﷺ باقية بعده إلى ما شاء الله.

لا خلاف أن: القرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ، وأن الله تَحَدَّى بِه الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا، ولن يمكنهم ذلك أبدًا إلى يوم القيامة[2].

وهذا يعني أمرين:

الأول: خلود وأبدية الرسالة إلى ما شاء الله.

الثاني: حفظ الدين إلى يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]، والذكر: المراد به القرآن والسنة معًا، فكما صان الله كتابه عن التحريف، والتبديل، والتغيير، صان كذلك سنة رسوله ﷺ؛ وذلك لأنه ارتضى ذلك الدين دينًا قيمًا إلى يوم أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، رقم (١٣٦١)، (ج١ ص١٥٨).

[2] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[3] سورة الحجر آية: (٩).

لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ [1]، وهذا لم يتم لشيء إلا لرسالته ﷺ وقد بين النبي ﷺ ذلك صراحة في **أحاديث كثيرة من أهمها ما يلي:**

١- عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا مُحَمَّد النَّبِي الأُمِّي، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، أُوْتِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَعَلِمْتُ كَم خَزَنَة النَّارِ وَحَمَلَةَ العَرْشِ**»[2].

٢- عن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قال رسول الله: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي، الذِي يَمْحُو الله بِيَ الكُفْرَ، وأَنَا الحَاشِرُ الذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمي، وَأَنَا العَاقِبُ**»[3].

٤) من خصائصه ﷺ: إرْسَالُه بِرِسَالَةِ الرحمة العامة للعالمين جميعًا.

هَذَا الأَمْرُ مِمَّا شرفه الله به، وفضله على خلقه ورسله جميعًا، ولا يستطيع أحد أن يحققه بمراده، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين﴾ [4]، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال نبيه محمد ﷺ إليهم، ثم مِن تشريفه لهم: ختم الأنبياء والمرسلين به ﷺ، وإكمال الدين الحنيف له[5]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين﴾ [6]، وكما في قوله ﷺ: «**إِنَّما أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[7] ليس للمسلمين فحسب، ولا المؤمنين فقط، وإنما للعالمين جميعًا: مؤمنهم،

---

[1] سورة المائدة آية: (٣).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهم، رقم: (٦٦,٦) (ج٢ ص١٧٢)، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهم، رقم: (٦٩٨١) (ج٢ ص٢١٢).

[3] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم (٣٣٣٩) (ج٣ ص١٢٩٩)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ رقم: (٢٣٥٤).

[4] سورة الأنبياء آية: (١,٧).

[5] «الرسل والرسالات» د. عمر سليمان الأشقر (ص: ٢٣٠) .

[6] سورة الأنبياء آية: (١,٧).

[7] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيره، رقم: (٢٥٩٩) (ج٤ ص٢..٦).

وكافرهم، إنسهم وجنِّهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾[1]، وهذا يعني أنه كانت بعثته حِصْنًا مِن العذاب، فكان في الرسالة المحمدية الرحمة الإلهية لكل البرية، وكما في قوله ﷺ عندما طلب منه يوم أحد الدعاء على المشركين، فقال: «**إِنِّي لَم أُبْعَث لَعَّانًا، وإنَّما بُعِثْتُ رَحْمَة**»[2].

وكما في حديث أبي هريرة: «**إنَّما أنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[3]، وما ورد أنه نبي الرحمة ويشهد لذلك أمران :

الأمر الأول: أن الله رفع الحرج والمشقة عن المكلفين في الشرع الحنيف فكانت رسالته رحمة للمكلفين في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾[4] .

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [5] .

الأمر الثاني: أن الله يرحم به الخلق كافة في الآخرة كما في الشفاعة العظمى؛ ولهذا جاء وصفه في الحديث: «**أنَا مُحَمَّد وَأحْمَد ونَبِيُّ التَّوْبَة ونَبِيُّ الرَّحْمَة**»[6].

٥) من خصائصه ﷺ: أن الله تعالى جعل في رسالته الهم بالسيئة غير مؤاخذ به، والسيئة إذا فُعِلَت تكتب سيئة، وتضاعف الحسنات إلى عشر أمثالها، وإلى سبعمائة ضعف.

وهذا أمر خص الله سبحانه وتعالى به هذه الأمة: أن جعل سمة الرسالة اليسر، والسماحة، وعدم التعسير، أو التضييق، ونفي الحرج والمشقة، وهو ما يوافق الفطرة؛ ليواكب استمرارية الدعوة، وبقاء هذا الدين.

---

[1] سورة الأنفال آية ٣٣ .

[2] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيره، رقم (٢٥٩٩) (ج٤ ص٢٠٠٦).

[3] المستدرك، كتاب الإيمان، رقم (١٠٠) (ج١ ص٩١).

[4] سورة البقرة آية: (١٨٥).

[5] سورة الحج آية: (٧٨).

[6] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم: (٢٣٥٥)، (ج٤ ص١٨٢٨)، وأحمد في مسنده، حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، رقم: (١٩٥٤٣) (ج٤ ص٣٩٥).

فأحَلَّ لَهُم كثيرًا مما شدد عَلَى مَن سَبَقَهُم، ورفع عنهم الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، و لم يكتب عليهم الهم السيئ في النفوس، ولا الوساوس في الصدور ما لم يفعل الإنسان؛ بل يكتب حسنة إذا لم يفعله، ومن هم بحسنة فإنها تكتب له حسنة، فإن عملها تكتب عشرًا إلى أضعاف كثيرة، **وقد دل على ذلك نصوص الشرع ومن ذلك ما يلي:**

١- قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [١].

٢- قال ﷻ: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [٢].

٣- وقال تعالى:﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [٣].

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: **إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا**» [٤].

و في رواية: «**فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ**»[٥] .

٦) ــ من خصائصه ﷺ : جعل رسالته سمحاء حنيفية وسطية.

لقد جعل الله الإسلام الدين الوسط، الذي ضمنه معاني السماحة والسهولة واليسر.

---

[١] سورة المائدة آية: (٦).

[٢] سورة البقرة آية: (١٨٥).

[٣] سورة الأعراف آية: (١٥٧).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، رقم (١٢٨) (ج١ ص١١٧).

[٥] صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب: من هم بحسنة أو سيئة، ومسلم كتاب الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب رقم: (٢,٣ - ٢,٨).

يؤيد ذلك ما رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(١)، وأنه ﷺ قال: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»(٢).

فالتسامح من أهم جوانب النزعة الإنسانية في الرسالة الإسلامية، فقد أنشأ الإسلام حضارته، و لم يضق ذرعًا بالأديان السابقة، و لم يتعصب دون الآراء والمذاهب المتعددة، وإنما كان شعاره: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾(٣)، ومن أجل ذلك كانت مبادئ الشريعة الإسلامية في التسامح الديني عنوانًا لكل الأمم.

ومن تلك المبادئ على سبيل المثال ما يلي:

١- أن الأديان السماوية كلها تستقي من معين واحد: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(٤).

٢- أن الأنبياء أخوة لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة، وأن على المسلمين أن يؤمنوا بهم جميعا: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (٣٩) (ج١ ص٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٢٢٣٤٥)، (ج٥ ص٢٦٦)، و«مسند الشهاب» (ج٢ ص١١٥).

(٣) سورة الزمر آية: (١٧).

(٤) سورة الشورى آية: (١٣).

(٥) سورة البقرة آية: (١٣٦).

٣- أن العقيدة لا يمكن الإكراه عليها؛ بل لا بد فيها من الإقناع: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

٤- أن الاختلاف في الأديان لا يحول دون البر والصلة ،والضيافة ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2] .

٥- أن اختلاف الناس في أديانهم لا يمنع من الحوار الهادف إلى معرفة الحقيقة فلهم أن يجادل بعضهم بعضًا بالحسنى، وفي حدود الأدب والحجة والإقناع ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[3]، ولا تجوز البذاءة مع المخالفين، ولا سب عقائدهم ولو كانوا وثنيين ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ[4].

---

[1] سورة البقرة: (٢٥٦).

[2] سورة المائدة آية: (٥).

[3] سورة العنكبوت آية: (٤٦).

[4] سورة الأنعام آية: (١,٨).

٦- إذا اعتدى على الأمة في عقيدتها، وجب رد العدوان؛ لحماية العقيدة ودرء الفتنة ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

٧ – إذا انْتَصَرَت الأمَّةُ على مَن اعتَدَى عليها في الدين، أو أرَاد سَلْبَها حُرِّيَتَها، فلا يجوز الانتقام منهم بإجبارهم على ترك دينهم، أو اضطهادهم في عقائدهم، وحسبهم أن يعترفوا بسلطان الدولة، ويقيموا على الإخلاص لها حتى يكون لهم ما لنا، وعليهم ما علينا[3].

فهذه بعض مبادئ التسامح الديني في الشريعة الإسلامية، وهي توجب على المسلم أن يؤمن بأنبياء الله، ورسله جميعًا، وأن لا يتعرض لأتباعهم بسوء، وأن يكون ليّن القول، يحسن جوارهم، ويقبل ضيافتهم، وله أن يصاهرهم مع ما في ذلك من اختلاط للأسر، وامتزاج للدماء، وأوجب الإسلام على الدولة المسلمة أن تحمي أماكن عبادتهم، وأن لا تتدخل في عقائدهم، ولا تجور عليهم في حكم، وتسويهم بالمسلمين في الحقوق والواجبات العامة، وأن تصون كرامتهم وحياتهم كما تصون كرامة المسلمين وحياتهم، على هذه الأسس قامت الدولة الإسلامية في عهد الرسول الأكرم ﷺ وخلفائه من بعده، وبها رأت الدنيا لأول مرة دينًا يُنشئ حضارة فلا يتعصب على غيره من الأديان، ولا يطرد غير المؤمنين به من مجال العمل الاجتماعي والمنزلة الاجتماعية.

ومن أهم صور التسامح في حياة الرسول ﷺ ما يلي:

١- لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وفيها من اليهود عدد كبير كان من أول ما عمله من شئون الدولة أن أقام بينه وبينهم ميثاقًا، تحترم فيه عقائدهم، وتلتزم فيه الدولة بدفع الأذى عنهم،

---

[1] سورة البقرة آية: (١٩٣).

[2] سورة الممتحنة آية: (٩).

[3] «التاريخ الإسلامي» محمود شاكر (ج٢ ص٣٦٩)، و«من روائع حضارتنا» مصطفى السباعي (ص: ٧٥ – ٧٦).

ويكونون مع المسلمين يدًا واحدة على من يقصد المدينة بسوء، فطبَّق بـذلك رسـول الله ﷺ مبادئ التسامح الديني في البذور الأولى للرسالة الإسلامية.

٢- كان للرسول ﷺ جيران من أهل الكتاب، فكان يتعاهدهم ببرِّه، ويهديهم الهدايا، ويتقبـل منهم هداياهم،حتى أن امرأة يهودية دَسَّت لَهُ السُّمَّ فِي ذِرَاعِ شَاةٍ أَهْدَتْهَا إليه، لما كان من عادته أن يتقبل هديتهم، ويحسن جوارهم، ولما جاء وَفْدُ نصارى الحبشة أنـزلهم رسـول الله ﷺ في المسجد، وقام بنفسه على ضيافتهم، وخدمتهم، وكان مما قاله يومئذ: «**إِنَّهُم لَأَصْحَابُنَا مُكْرَّمِيْنَ فأحُبُّ أنْ أكْرِمَهُم بِنَفْسِي**»[(١)].

٣- لَمَّا جاء وفد نصارى نجران، أنزلهم في المسجد، وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه، فكانوا يصلون في جانب منه، ورسول الله ﷺ والمسلمون يصلون في جانب آخـر، ولَّـا أرادوا أن يناقشـوا الرسول في الدفاع عن دينهم، استمع إليهم وجادلهم، كل ذلك برفق، وأدب، وسماحة خلـق، وقبل رسول الله ﷺ من المقوقس هديته، وقبل منه جارية أرسلها إليه، وتسرى بها رسول الله ﷺ وولدت له إبراهيم الذي لم يعمر إلا أشهر قليلة، ومن وصاياه للمسلمين: «**اسْتَوْصُوا بِـالقِبْطِ فَإِنَّ لَكُم فِيْهَا نَسَبًا وَصِهْرًا**»[(٢)].

ومن صور التسامح في حياة الصحابة رضي الله عنهم والتي تدل بوضوح أنهم كانوا يسيرون على هـدي النبي ﷺ في تسامحه الديني ذي النزعة الإنسانية الرفيعة ما يلي:

١- الخليفة عمر رضي الله عنه حين دخل بيت المقدس فاتحًا يجيب سكانها إلى ما اشـترطوه: مـن أن لا يساكنهم فيها يهودي، وتحين صلاة العصر، وهو داخل كنيسة القدس الكبرى، فيأبى أن يصلي فيها كيلا يتخذها المسلمون من بعد ذريعة للمطالبة بها، واتخاذها مسجدًا[(٣)].

---

(١) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٩)، و«من روائع حضارتنا» مصطفي السباعي (ص: ٧٥ – ٧٦)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (ج١ ص١١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، رقم (٤,٣٢) (ج٢ ص٦,٣).

(٣) «تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٢٦٦).

٢- شكت امرأة مسيحية من سكان مصر إلي عمر ﷺ أن: عمرا بن العاص ﷺ، قد أدخل دارها في المسجد كرهًا عنها، فيسأل عمرًا عن ذلك، فيخبره أن المسلمين كثروا، وأصبح المسجد يضيق بهم، وفي جواره دار هذه المرأة، وقد عرض عليها عمرو ثمن دارها، وبالغ في الثمن، فلم ترض، مما اضطر عمروٌ إلى هدم دارها، وإدخالها في المسجد، ووضع قيمة الدار في بيت المال تأخذه متى شاءت، ومع أن هذا مما تبيحه قوانيننا الحاضرة، وهي حالة يعذر فيها عمرو على ما صنع، فإن عُمَرَ لَم يَرْضَ ذلك، وأمر عمرًا أن يهدم البناء الجديد من المسجد، ويعيد إلى المسيحية دارها كما كانت.

فهذه هي الروح المتسامحة، التي سادت المجتمع، الذي أظلته حضارتنا بمبادئها، فإذا بنا نشهد من ضروب التسامح الديني مالا نجد له مثيلاً، في تاريخ العصور حتى في العصر الحديث؛ ولهذا فإن التسامح الديني في الإسلام لا يعهد له مثيل في تاريخ العصور الماضية[١].

٧) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ: أن الشريعة الإسلامية التي أرسل بها تقرر المساواة بين المسلمين.

هذا جانب آخر من الجوانب الإنسانية في الرسالة الخاتمة، وهو تقرير المساواة حقًا بين الناس من غير نظر إلى ألوانهم، أو أشكالهم، أو أنسابهم، فبعد أن أعلن القرآن مبدأ المساواة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم﴾[٢]، وقف الرسول ﷺ في حجة الوداع؛ ليعلن خطابه النبوي: «**أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُم وَاحِدٌ، وإِنَّ أَبَاكُم وَاحِدٌ، كُلُّكُم لِآدَم وَآدَمُ مِن تُرَاب، إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى**»[٣]، وليست المساواة أمورًا نظرية فحسب، وإنما في مجال التطبيق العملي أكثر، **ومن دلائل ذلك ما يلي:**

---

[١] «روائع حضارتنا» مصطفي السباعي (ص: ٧٥ – ٧٦)، و«التاريخ الإسلامي» محمود شاكر (ج٢ ص٣٦٩).

[٢] سورة الحجرات آية: (١٣).

[٣] أخرجه أحمد في مسنده، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٢٣٥٣٦) (ج٥ ص٤١١).

١- أمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بلالاً الحبشي أن يصعد فوق الكعبة، ويرفع الآذان[١]، وهو عبد حبشي، والكعبة هي القبلة المعظمة في الجاهلية والإسلام.

٢- لَم يَرْضَ النبي ﷺ من أبي ذر أن يُعَيِّرَ رجلاً بأمه؛ بل زجره، ونهاه بشدة وقال له: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيْكَ جَاهِلِيَّةٌ**»[٢].

٣- قوله ﷺ لذوي قرباه: «**يَا بَنِي هَاشِم، يَا بَنِي عَبْد الْمُطَّلِب، لَا يَجِيْئُنِي النَّاسُ بِالأَعْمَالِ، وتَجِيْئُونِي بِالأَنْسَابِ**» وذلك لما أنزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٣]، دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فقال: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**»[٤].

ومعناه لا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله، وهذا يقرر المساواة الحقة التي تقوم على أساس العمل، والجهد، لا على الوساطة، والرشوة، والمحاباة.

---

[١] أخرجه عبد الرزاق، كتاب: أهل الكتابين، باب: رسالة السلام (ج١٠ ص٣٩٣)، وفي: «مصنف ابن أبي شيبة» (ج١ ص٢,٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم: (٥٧,٣)، (ج٥ ص٢٢٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، رقم (١٦٦١) (ج٣ ص١٢٨٢).

[٣] سورة الشعراء الآية: (٢١٤).

[٤] أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} (ج١ ص١٩٢).